ألفاظ الحضارة

الدكتور علي القاسمي

ألفاظ الحضارة/ألفاظ حضارية:

«الطائرة، الحافلة، الدراجة، الهاتف، المصرف، المذياع، البريد، ساعي البريد، العيد الفضي، مباراة كرة القدم». لعلنا نتفق، أول وهلة، أن هذه الألفاظ هي من ألفاظ الحضارة أو ألفاظ حضارية، فقد وردت في المعاجم القليلة التي أصدرتها بعض المجامع اللغوية العلمية العربية وخصصتها لألفاظ الحضارة[1]. ولكن الأمر ليس بهذه السهولة، كما سنرى.

صعوبة الاتفاق على ماهية الألفاظ الحضارية:

عند الرجوع إلى ما كتبه كبار اللغويين الذين بحثوا في ألفاظ الحضارة، نجد أنهم يعلنون صراحة صعوبة الاتفاق على تحديد ماهية «ألفاظ الحضارة» بصورة دقيقة. فعندما تصدى مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى قضية ألفاظ الحضارة في دورته الثانية عشرة (1945-1946)، أعلن المرحوم الدكتور إبراهيم مدكور، الذي سيخلف الدكتور طه حسين في رئاسة المجمع عام 1973، في تصديره لمحاضر هذه الدورة أن «**ألفاظ الحضارة ضرب آخر من المصطلحات اللغوية، وقد تكون معالجتها أعسر من معالجة المصطلح العلمي، والإجماع عليها ليس بالأمر الهيّن**»[2].

وعندما أولت لجنة اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي اهتماماً خاصاً

بالألفاظ الحضارية ونشرت كراساً بعنوان «**ألفاظ حضارية محدثة**»، سرعان ما عابه الأمين العام للمجمع الدكتور أحمد مطلوب قائلاً:

«**إنه لم يُخلص لهذا اللون من الألفاظ وإنما دخلته ألفاظ لغوية عامة مثل: حالاً، والحالي، وحالياً، والرشح، ومسبقاً، وشخصياً، والشارع، والنسيب؛ ودخلته مصطلحات علمية مثل: الأُس، والإحداثيات، والتصعّد، والمنسوب، ونحوها من مصطلحات الهندسة والفيزياء والكيمياء**»[3] .

بيد أن الدكتور مطلوب يعترف صراحة بصعوبة تحديد ألفاظ الحضارة، حين يقول: «**وليس من السهل اليسير تحديد الألفاظ الحضارية وحصرها، فهي قد تشمل الفنون الأدبية والعلوم السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، والفنية، وقد تشمل ما يستعمله الإنسان من أدوات لتحقيق أغراضه المختلفة. ولعل الاتفاق على المصطلحات العلمية ووضعها أيسر من الاتفاق على الألفاظ الحضارية ووضعها لما في ذلك من اختلاف وجهات النظر في فهم الحضارة..**»[4] .

معايير تحديد ماهية ألفاظ الحضارة:

إن الذين تصدوا لتحديد ماهية الألفاظ الحضارة انقسموا، إجمالاً، إلى قسمين:

الأول، سعى إلى تحديد ماهية الألفاظ الحضارية في ضوء نشأتها. فرأى أن اللفظ الحضاري هو، في أصله، مصطلح علمي وضعته وتداولته مجموعة من المختصين في علم من العلوم أو فن من الفنون ثم شاع استعماله وأصبح كلمة عادية على أفواه عامة الناس. ويتجلى هذا الرأي لدى المرحوم محمود تيمور، وهو من روّاد البحث في ألفاظ الحضارة، فقد عرّف اللفظ الحضاري بأنه:

«**اللفظ الذي يشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العام لتسمية أسباب الحياة في البيت والسوق، فهو قاسم مشترك أعظم في كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة والعوم الاجتماعية والإنسانية والفنون والآداب، ذلك قيام الجمهور في التعبير عن حياته وبيئته وعلاقاته بما حوله وبمن حوله يستمد عناصره من كل علم وفن ومعرفة**»[5].

فالمعيار الأساس هنا هو شيوع اللفظ على أوسع نطاق، أما مجال اختصاص الألفاظ الحضارية فليس معياراً لأنها تنتمي إلى جميع فروع المعرفة.

وقد تبنى هذا الرأي اللغوي الدكتور عبد اللطيف عبيد الذي تولى الإشراف على إعداد الجزء الثاني من مشروع «**معجم ألفاظ الحضارة**» لمكتب تنسيق التعريب بالرباط، فقال في مقدمته لهذا الجزء:

«**يتضمن هذا الجزء الثاني من «مشروع معجم ألفاظ الحضارة» مصطلحات شائعة في المجتمع العربي وأوساط المثقفين أو هي في طريقها إلى التحول من المعجم المختص إلى المعجم العام لتصبح، شيئًا فشيئًا، أحد مكونات المعجم اللغوي**»[6] **.**

فشيوع اللفظ – لدى هذه الجماعة – هو المعيار لاعتباره من ألفاظ الحضارة بغضّ النظر عن المجال العلمي الذي ينتمي إليه. ولهذا فإن مشروع المعجم الذي أعده فريق من اللغويين تحت إشراف الدكتور عبد اللطيف عبيد يشتمل على تسعة عشر قسمًا، هي:

1- الكون والطبيعة، 2- النباتات والأشجار، 3- الحيوانات البرية، 4-

الحيوانات الأهلية، 5- الحشرات والزواحف، 6- الحيوانات المائية، 7- جسم الإنسان، ...إلخ. ونجد في هذا المعجم الألفاظ التالية بوصفها ألفاظًا حضارية:

هواء، شعاع، جدول، كسوف الشمس، خسوف القمر، خنزير الأرض، دب، حَمَام، بول، إلخ.

الثاني، ينطلق الفريق الثاني من اللغويين الذين تصدوا لتحديد ماهية ألفاظ الحضارة، من ربط تلك الألفاظ باستعمال الإنسان العربي لها في «**حياته العامة**». فالتأكيد هنا ليس على شيوع اللفظ وانتقاله من المعجم الخاص إلى المعجم العام، وإنما على مدى استعمال الشيء المسمى في الحياة العامة للإنسان. وفي هذا يقول الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة الأردني ما نصه:

«**ونحن عندما نتحدث عن «ألفاظ الحضارة» في مشروعنا المعجمي في الوقت الحاضر فإنما نعني جميع الألفاظ التي يستعملها الإنسان العربي في «حياته العامة» من مأكل ومشرب وملبوسات وما يتعلق بها، ومن منزل وأدوات منزلية وأثاث وما يتعلق بشؤون البيت، وكذلك أسماء الأماكن العامة والخاصة وما يتعلق بها، والمكاتب وأدواتها وأجهزتها، والمركبات وما يتعلق بها، والحرف وأنواع المهن والصناعات وأدواتها والمواد المستعملة فيها، وكذلك ما يتعلق بالتربية الرياضية وأنشطتها، وجوانب الحياة الفنية، ومجالات الترويح والزينة، ويتعدى هذا المدلول، التعبير عن الأدوات والأشياء المادية، إلى التعبير عن الحياة الثقافية العامة التي تنم عن الحس الحضاري والاجتماعي والذوق الجمالي في التعامل بين الأفراد والجماعات**

في حياتهم اليومية، وفي لغة مختلف وسائل الاتصالات الجماهيرية»[7].

فالمعيار الأساس هنا هو «الاستعمال في الحياة العامة اليومية» وليس شيوع اللفظ الذي هو أحيانًا تحصيل حاصل للاستعمال، فما دام الإنسان يستعمل في حياته العامة اليومية الكرسي، والحمام، والدفتر، والقلم، والمجاملة فهي ألفاظ حضارية . أما إذا كان لا يستعمل في حياته العامة اليومية البول، وخنزير الأرض، والهواء، والجدول، فإنها ليست ألفاظًا حضارية..

وهكذا يمكن القول إن هذا القسم من اللغويين غلّبوا الجانب العملي أو الحضاري على الجانب اللغوي في معيارهم لتحديد ماهية ألفاظ الحضارة.

محاولة لتعريف ألفاظ الحضارة:

إن الرواد الذين صاغوا هذا المصطلح، «ألفاظ الحضارة» ، كانوا على وعي كامل بأبعاده ومضامينه. فقد استعملوا كلمات في غاية الدقة. فهم لم يقولوا مثلاً : «كلمات الحضارة» ولا «مصطلحات الحضارة» ، وذلك لسببين:

الأول، إن «اللفظ» اسم عام ينضوي تحته «الكلمة» و «المصطلح» معًا:

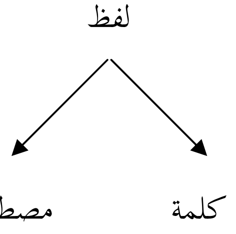

ولما كانت ألفاظ الحضارة هي مصطلحات علمية شاع استعمالها في الحياة

العامة لشيوع المفاهيم التي تدلّ عليها، وأصبحت تلك المصطلحات في عداد اللغة العامة المكوَّنة من كلمات أو في طريقها لتصبح كذلك، فإن الرواد اختاروا كلمة «ألفاظ» التي تدلّ على الكلمة والمصطلح معًا.

الثاني، لما كانت كلمة «ألفاظ» عامة، فإنهم قيدوها وخصصوها بالإضافة، على طريقة الحدّ الأرسطي، الذي يعرّف الأشياء بذكر جنسها القريب والفصل ليكون التعريف جامعًا مانعًا. وهكذا فإن «لفظ» هو الجنس و«الحضارة»- وليست الثقافة أو الطبيعة أو غيرهما – هو الفصل الذي يميز هذا اللفظ عن غيره من الألفاظ.

وعلى هذا الأساس، فإن تحديد مفهوم «ألفاظ الحضارة» يتطلب منا البحث في ماهية «اللفظ» ، وماهية «الحضارة» كذلك.

ألفاظ الحضارة بين عمومية اللفظ وخصوصيته:

إذا افترضنا أن جميع المصطلحات العلمية والتقنية هي من إفرازات الحضارة، فلماذا اختص قسم منها بهذا الاسم،«ألفاظ الحضارة»؟ وهل هذه الألفاظ هي كلمات عامة أم مصطلحات خاصة؟ وقبل كل شيء، هل هناك فرق بين الكلمة والمصطلح؟

يزعم المصطلحيون – أو قسم منهم على الأقل – أن المصطلح ليس كلمة من الكلمات؛ فالكلمة لها معنى، أما المصطلح فله مفهوم، وأن اللغويين يتعاملون مع الكلمات ومعانيها وحقولها الدلالية، أما المصطلحيون فيتداولون المصطلحات ومفاهيمها ومجالاتها المفهومية، بل أنظمتها المفهومية. وإذا كان معنى الكلمة يتحدد من سياقها في الجملة، فإن مفهوم المصطلح لا يمكن ضبطه إلا من تحديد

موقعه في المنظومة المفهومية ومن تخطيط شبكة علاقاته بالمفاهيم المجاورة له في تلك المنظومة. ولهذا فإن علم المصطلح ليس من علوم اللغة وإنما هو علم مستقل عنها يستخدم علوم اللغة فيما يستخدم، ولكنه يستوعب كذلك علم المنطق وعلم الوجود وعلم التصنيف وغيرها من العلوم الراقية المتصلة بالعقل وليس باللسان فقط، فهو يبحث أساسًا في طبيعة المفاهيم والعلاقات القائمة بينها وكيفية استخدام المصطلحات التي تعبّر عنها بدقة. وبعبارة أخرى، على حين أن اللغوي يبدأ عمله بالصعود من الكلمة فالجملة وصولاً إلى المعنى، فإن المصطلحي ينطلق بالاتجاه المعاكس، أي من دراسة المفهوم وخصائصه الجوهرية ليصل إلى المصطلح الدقيق الذي يعبّر عنه.

أما اللغويون فيرون أن ما يزعمه المصطلحيون هو نوع من التلاعب بالألفاظ. ويرون أن المصطلحات ما هي إلا ألفاظ قطاعية، أي يستعملها قطاع خاص من الناطقين باللغة من المهنيين والحرفيين، لعلاقة تلك الألفاظ بعملهم. ولهذا فهي ألفاظ تنتمي إلى اللغة الخاصة بذلك القطاع من الناس. وما «المنظومة المفهومية» إلا تعبير آخر عن «الحقل الدلالي» للكلمات.

ومهما يكن من أمر، فإن اللغويين والمصطلحيين متفقون على أن الكلمات والمصطلحات هي ألفاظ. كما أن جميع الذين تصدوا لقضية «ألفاظ الحضارة» لاحظوا أن هذه الألفاظ انتقلت من القطاع الخاص إلى الاستعمال العام أو هي في طريقها إلى الانتقال. وبذلك، يمكن تقسيم اللفظ على الوجه التالي:

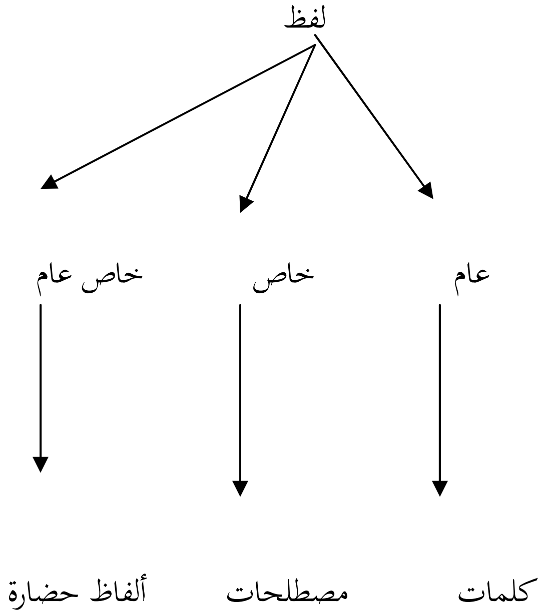

فلو أخذنا مجموعة من ألفاظ الحضارة مثل (فِلْم، فلم بالأبيض والأسود، فيلم بالألوان، فلم سالب، فلم موجب، إلخ.) وفحصناها لمعرفة طبيعتها: أهي كلمات عامة يُعنى بها اللغويون في معاجمهم العامة، أم هي مصطلحات تقنية تختص بعلم من العلوم فيهتم المصطلحيون بها في معاجمهم الخاصة؟ نجد أن مفاهيمها تشكّل، في حقيقة الأمر، جزءً من منظومة التصوير المفهومية، وكل مفهوم منها يحتل موقعًا محددًا

في تلك المنظومة ويرتبط بعلاقات وجودية ومنطقية مع بقية مفاهيم المنظومة. ولهذا فإنها وردت في معجم مختص في الإعلام(8). ولكن التصوير الذي كان في بدايته يقتصر على مختبراتِ عدد محدود من المختصين في قضايا التصوير، أخذ في الشيوع خلال القرن العشرين بحيث صار كثير من الناس يقتني آلات التصوير لالتقاط الصور في المناسبات الاجتماعية المختلفة، ويشتري لها نوع الفيلم الذي يريد من محلات بيع السجائر، ويعود بالفيلم لتحميضه في محلات التصوير المنتشرة في شوارع المدينة، وهكذا انتقلت تلك المصطلحات التقنية في الأصل من قطاع محدود إلى لغة الناس العامة. وهكذا أصبحت تلك المصطلحات التقنية تستعمل في الحياة العامة وتشكّل مكونًا من مكونات حضارتنا الحديثة. ولهذا أقدم مجمع اللغة العربية في القاهرة على وضع تلك المصطلحات في «**معجم ألفاظ الحضارة**» الذي أصدره[9]. ونخلص من ذلك إلى أنها مصطلحات علمية شاع استعمالها بين الناس فأصبحت ألفاظًا حضارية. والأمر ذاته ينطبق على ألفاظ أخرى مثل«الحاسوب» ومتعلقاته مثل: «لوحة المفاتيح»، و«ذاكرة الحاسوب» و «الطابعة»، التي كانت في منتصف القرن الماضي مصطلحات تقنية لا يستخدمها إلا عدد محدود من الباحثين والجامعيين في مختبراتهم، ثم أصبحت من أدوات الحضارة الشائعة تمامًا، وأضحت مصطلحاتها من ألفاظ الحضارةً.

ولكن شيوع اللفظ في الاستعمال في الحياة العامة لا يكفي وحده لاعتبار اللفظ من ألفاظ الحضارة. فالكلمات: هواء، شعاع، جدول، خنزير الأرض، دُب، حَمام، بول؛ هي كلمات شائعة في الاستعمال اليومي وتنتمي إلى حقول علمية معروفة،

ولكننا لا يمكن أن نعدّها من نتاج الثقافة أو الحضارة. فلا بدّ من التمييز بين الطبيعة والثقافة من جهة، وبين الثقافة والحضارة من جهة أخرى، كيما تكون ألفاظ الحضارة مقتصرة على ألفاظ الحضارة ولا تشمل ألفاظ الطبيعة ولا ألفاظ الثقافة.

الطبيعة والثقافة:

الطبيعة والثقافة مختلفتان. ولإدراك الفرق بينهما لا بُدّ من العودة للمعنى التأثيلي لكلمتي الطبيعة والثقافة. فالطبيعة في اللغة الإغريقية هي physis وفي اللاتينية natura ، وكلتا الكلمتين تعنيان القدرة الكامنة في جميع الأشياء على النمو، فهي القوة الحاضرة حضورًا كليًا. فالطبيعة، هي جملة الكائنات في الوجود من أرض وسماء وجبال ووديان وكواكب ونباتات وحيوانات، ومنها الإنسان. ويرتبط التصور الأرسطي عن الطبيعة بهذا المعنى، فقد عدّ أرسطو (384-322 ق.م.) الطبيعةَ مصدرَ الحركة.

وأضاف إفلاطون (428 - 348 ق.م.)- تلميذ سقراط وأستاذ أرسطو – معنى ثان للطبيعة هو «ماهية الكائن» ، فهناك طبيعة لكل كائن في الوجود، وطبيعة الشيء أو الكائن هي فكرته أو شكله الأصلي أو ماهيته. فطبيعة الإنسان، مثلًا، هي سجيته الأولى. وهكذا تتعدد الطبيعات، فلكل شيء طبيعة خاصة به[10].

وهذان المعنيان موجودان في اللغة العربية، فقد ورد في معجم «**لسان العرب**»:

«الطبع والطبيعة: الخليقة، والسجية التي جُبل عليها الإنسان... وطبع الله الخلق على الطبائع التي خلقها فأنشأهم عليها، وهي خلائقهم»[11].

وتسجل المعاجم العربية الحديثة المعنيين بشكل أوضح بفضل شيوع الاستعمال الفعلي للفظ «الطبيعة» بمعنييه المذكورين. فقد ورد في «**المعجم العربي الأساسي**»:

«**طبيعة:** 1- مخلوقات الكون من جبال وأودية ونبات وسماء

2-خُلق «له طبيعة سمحة...»[12].

وفي الأقوال السائرة: «الطبع أغلب»، و«الطبع يغلب التطبّع».

كان الإنسان في البداية جزءًا من الطبيعة أو مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بها، ثم أخذ يميل إلى الانفصال عنها ويرغب في التحكم فيها وتسخيرها لمنفعته. والثقافة (التي سنحاول تعريفها بعد قليل) هي التجسيد لرغبة الإنسان تلك في التميّز عن الطبيعة وترويضها، سواء كانت تلك الطبيعة بالمعنى الأول أو بالمعنى الثاني. فلفظ الثقافة، في اللغة العربية، مُشتق من «ثقَّف العودَ» إذا سوّاه وقوّمه، أو من «ثقُف الشخصُ» إذا صار حاذقًا فطنًا يتحكّم في غرائزه ويستعمل ذكاءه في الخير والصالح من الأعمال.

حقق الإنسان انفصاله عن الطبيعة باستخدام الثقافة، وأصبح الإنسان مقابلاًيعة مختلفًا عنها، وذلك باتخاذ أنماط سلوك تحكمها قِيم عليا تختلف عن سلوك الحيوان في حالته الطبيعية من ناحية، وبابتكار وسائل واختراع أدوات تمكّنه من التحكم في الطبيعة. وصار هناك فرق بين ما هو فطري ينتمي إلى الطبيعة وبين ما هو مكتسب ينتمي إلى ثقافة المجتمع السائدة. وتتعدد النظريات المتعلقة بالخاصية التي ميّزت الإنسان عن الطبيعة أول مرة وذلك طبقًا لاهتمامات الباحثين ومجالهم المعرفي: أهي اللغة، أو تحريم زنا المحارم، أو نشوء السلطة، أو نشوء الثقافة ذاتها[13].

وهذا الاختلاف بين الطبيعة والثقافة انعكس على تقسيم الدراسات الفلسفية منذ القرن الخامس قبل الميلاد حين قسّم أرسطو الفلسفة إلى قسمين: القسم النظري، «**فلسفة الطبيعة**» التي تُطلَق على الدراسات المتعلِّقة بالواقع المادي

والخصائص العامة للطبيعة وقوانينها، والقسم العملي «**فلسفة الأخلاق**» التي تُطلَق على الدراسات المتعلقة بالإنسان وسلوكه [14].

من هذا كله نخلص إلى أن الطبيعة والثقافة مختلفتان تمامًا بل متقابلتان. ولهذا فإن الألفاظ الدالة على الطبيعة بمعنييها لا يمكن أن تكون من ألفاظ الحضارة (فالثقافة والحضارة متلازمتان، كما سنبين بعد قليل). فالكواكب والوديان والسهول والهواء والفسيلة والخنزير ليست من ألفاظ الحضارة، حتى إذا شاعت في الاستعمال العام بعد أن كانت جزءًا من المعاجم الخاصة بالفلك والجغرافية والنبات والحيوان. كما أن الدم والبول والحُبّ والغضب والغيرة ليست من ألفاظ الحضارة حتى إذا شاعت في الاستعمال العام بعد أن كانت جزءًا من المعاجم الخاصة بالتشريح وعلم النفس وغيرها. فهذه الألفاظ كلها من ألفاظ الطبيعة.

الثقافة والحضارة:

تنبع صعوبة الحديث عن الثقافة والحضارة من حقيقتين:

الأولى، إن الثقافة هي ما يميز الإنسان عن الحيوان، ومن الصعب على الإنسان أن يضع نفسه خارج الثقافة ليتحدث عنها [15].

الثانية، إن المفهوم حديث نسبيًا، وقد تعددت المدارس الفكرية في تعريفه طبقًا لاهتماماتها ومجالات اختصاصها. وكثيرًا ما اختلط مفهوم «الثقافة» بمفهوم «العلم» و«المعرفة» و«الحضارة» و«المدنية» وهي مفاهيم تختلف عن بعضها ولكنها لا تخالف بعضها كليةً.

لقد تعددت وتكاثرت تعريفات «الثقافة» حتى إن أحدهم ألَّف كتابًا

كاملاً جمع فيه تعريفات الثقافة، وإن المثقف المغربي الكبير عبد الكريم غلاب ألف كتابًا بعنوان «**لا مفهوم للثقافة**». ولعل كثرة البحث في الثقافة مرده إلى أنها كالطب تتعلق بالإنسان نفسه مباشرة، ولهذا فإن كل واحد معني بها كما أن كل واحد يظن أن بإمكانه وصف الدواء وإن لم يكن طبيبًا.

بيد أن كثرة البحث في «الثقافة» ساعد على تبلور مفهومها وظهور نوع من الاتفاق في السنوات الأخيرة على ماهيتها وتعريفها. فقد أصبح من المقبول اليوم تعريف الثقافة بأنها مجموع العوامل الفكرية والدينية والتاريخية والفنية والفلسفية والسياسية التي تتفاعل في حياة أفراد المجتمع وسلوكهم وتنتقل عبر الزمن من جيل إلى جيل. ويتجه كلُّ مجتمع إلى تكوين كلٍّ ثقافي مؤلَّف من عناصر متماسكة ومتكاملة يتميز عن غيره بمفاهيم ومعانٍ وأساليب سلوك تُكتسَب بالتعلم ونظام قِيَم أساسي يُقيِّم بموجبه السلوك إلى مقبول ومرفوض. وترتبط بنية شخصية الفرد بالثقافة المميِّزة لمجتمعه بصورة واعية أو لاواعية. وتعمل اللغة على صياغة تلك المفاهيم والقيم والمثل وتيسير اكتساب الأفراد لها، كما تُسهّل نقلها من جيل إلى جيل وتراكمها ونموّها[16].

وقد عرّف المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية الذي انعقد في مدينة مكسيكو سنة 1982 «الثقافةَ» بأنها:

«مجموعة الصفات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعًا محددًا أو فئة اجتماعية بذاتها... وهي (أي الثقافة) تشمل الفنون والآداب وأساليب الحياة وتشمل كذلك الحقوق البشرية، وتنظّم القيم والتقاليد والمعتقدات» [17].

ويتحدث ويليام فندلي، الأمين العام للمؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام،

عن التصوّر التجريبي للثقافة فيعرّفها بأنها :

«مجموعة مشتركة من المعاني والقيم التي تحدد طريقة حياة مشتركة. وبشكل أكثر تحديدًا، فإن هذه المعاني والقيم المشتركة يتم إيصالها عبر الزمن إلى الأجيال المتعاقبة من خلال اللغة، والهوايات، والأعراف، والعادات، والتقاليد، والمؤسسات»[18] .

وقد تبنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تعريفًا مماثلاً للثقافة في «**الخطة الشاملة للثقافة العربية**» التي استغرق إعدادها عقدًا من الزمن وشارك في صياغتها مجموعةٌ كبيرة من المثقفين من معظم الأقطار العربية. فقد ورد في هذه الخطة أن الثقافة «تشمل مجموعة المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة وطرائق السلوك والتصرف والتعبير وطرق الحياة...»[19] .

أما «**الحضارة**» فإنها حقيقة ثقافية. ويميل بعضهم إلى اعتبارها مرادفًا للثقافة، ويرى بعضهم الآخر أنها ثقافة متقدمة. ولكن ما استقر في الدراسات الفلسفية مؤخرًا يذهب إلى أن الحضارة هي المنجزات التي حققها الإنسان عبر ملايين السنين في جميع الميادين والتي يتعلمها كل جيل من الجيل السابق ويضيف إليها. وهذه المنجزات هي نتيجة لأنماط التفكير والقيم والمثل والمعاني والمفاهيم السائدة في المجتمع. وبعبارة أخرى فإن هذه المنجزات هي من إفراز الثقافة، ولهذا فلكل ثقافة حضارتها، كما يمكن أن تكون للإنسانية بكاملها حضارة مشتركة[20].

وعلى الرغم من أن لفظ «**الحضارة**»، باللغة العربية، مشتق من الحضر في مقابل البدو، فإن الحضر يمتازون بكثرة ما لديهم من الأدوات والآلات والمنتجات

المصنوعة في مقابل البدو الذين تقلّ عندهم أو تنعدم تلك المنجزات الصناعية. وهذا ما ألمح إليه الشاعر المتنبي بقوله:

حُسنُ الحضارةِ مجلوبٌ بتطريةٍ   وفي البداوةِ حسنٌ غيرُ مجلوبِ

وقد توصل كثير من المفكرين إلى هذا التفريق الواضح بين الثقافة والحضارة. ففي مؤتمر عقدته منظمات اليونسكو والإيسيسكو والألكسو بالرباط في يونيو 2005 ، عبّر المفكر الإسلامي عبد الهادي بوطالب عن ذلك بقوله:

«**وأرى أن الحضارة غير الثقافة، فالتركيز في الحضارة غالبًا ما يقتصر على التقدّم المادي، ...أما الثقافة فمجالها الفكر والعقل والإبداع والتحلي بالأخلاق الفاضلة والقيم المجتمعية المتعارف عليها**»[21] .

نحن نميل إلى أن «**الثقافة**» تختص بالإنتاج النظري والروحي للإنسان في حين تختص «**الحضارة**» بالإنتاج المادي والتقني للإنسان. أما «**المدنية**» فهي مستوى متقدِّم من الثقافة والحضارة يتحقق في مدن كبيرة، وتُستعمل فيه الكتابة، وتسود فيه القوانين وحقوق الإنسان. و «المدنية» مشتقة من «المدينة» التي يسود فيها القانون في مقابل البادية أو الغاب التي تسود فيه شريعة الغاب، ومن هنا أصبح «القانون المدني» في مقابل «القانون الجنائي» و«القانون العسكري».

الثقافة هي طريقة التفكير، والحضارة ما تنتجه طريقة التفكير تلك. فالحضارة تتضمن الثقافة كما يتضمن بناء الدار تصوّرَه في ذهن الإنسان أو خطته على الأرض. تُمثّل الثقافة نظرة الأمّة إلى الإنسان والعالم والكون، فهي البُعد الروحي للإنسان من دين وفلسفة وأخلاق وأدب وفن. أما الحضارة فتمثّل البُعد المادي للإنسان فهي ما

يصنعه الإنسان ويبتكره. تجسّ–د الثقافة تأثير الفكر على الإنسان ذاته. أما الحضارة فتجسّد تأثير الإنسان على الطبيعة وتشكيلها في حدود ما يتيحه له فكره. فالثقافة هي استمرارية شعور الإنسان باختياراته والتعبير عنها. أما الحضارة فهي استمرار التقدم التقني. وكلّما نمت الثقافة ازداد الإنسان غوصًا في ذاته، وكلّما نمت الحضارة ازداد الإنسان اعتمادًا على المادة والآلة وتحكّمًا في الطبيعة، كما يقول علي عزت بيغوفيتش[22].

ولنضرب مثلاً على الفرق بين الثقافة والحضارة، فنقول إذا كانت الحضارة تفرز لنا الفكر الديني، والتنظيمات العسكرية، والتمييز بين الجنسين وغيرها، فإن الحضارة، بوصفها التجسيد المادي للثقافة، تبتدع لنا ما يعزز تلك الهويات الثقافية كالملابس مثلاً، فتصبح لدينا أزياء خاصة برجال الدين، وأزياء أخرى للعسكريين، وملابس للرجال وأخرى للنساء، وهكذا. وعندما تتجه ثقافة معينة إلى إلغاء التمييز بين الجنسين وإقرار المساواة بينهم مثلاً، فإن هذا التوجّه الثقافي ينعكس على المنتجات الحضارية، فتُصنع سراويل الجينز لكلا الجنسين، فيلبسها الذكور والإناث على السواء. فالثياب هي ما يُصبح به الجسم دالاً، على حد تعبير هيجل، أي حاملاً لعلامات خاصة تميزه عن جسم آخر وتشير إلى المهنة أو الحرفة أو الرتبة أو الجنس أو غير ذلك[23]، وهي تعكس الخصائص المميزة لكل بيئة ثقافية وعلاقتها بمحيطها الطبيعي والبشري[24].

إن الفرق بين الثقافة والحضارة شبيه بالفرق بين العِلم والتكنولوجيا. فالعلم هو معرفة منظّمة في قوانين ومعادلات، أما التكنولوجيا فهي تطبيقات تلك المعرفة في

الإنتاج. ولا يمكن بحال فصل التكنولوجيا عن العِلم، كما لا يمكن فصل الحضارة عن الثقافة. فهما كوجهي العملة الواحدة وما التفريق بينهما إلا لضرورات عملية.

ألفاظ الثقافة وألفاظ الحضارة:

في ضوء هذا التمييز بين «الثقافة» و«الحضارة»، نستطيع أن نتبنى معيارًا جديدًا لألفاظ الحضارة. فالأسماء الدالة على الأديان والمذاهب والمدارس الفكرية والنظريات العلمية والأدبية والفنية وأنظمة النشر هي من «ألفاظ الثقافة». أما المنجزات المادية التي يصنعها الإنسان نتيجة لتلك الأفكار أو النظريات العلمية أو الأنظمة فتنتمي إلى «ألفاظ الحضارة». وهكذا نستطيع أن نقول إن «فن العمارة الإسلامي» «أو» نظرية المحركات البخارية «أو» «الطباعة بالليزر» تنتمي إلى ألفاظ الثقافة، أما ما يتمخض عن هذا الفن المعماري من أبنية كـ«المسجد» أو تطبيقات تلك النظرية العلمية في الصناعة كـ «الدراجة البخارية» أو ناتج الطباعة كـ«الكتاب» فهي من «ألفاظ الحضارة». ومما يدعم رأينا هذا أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أصدر معجمًا بعنوان «**معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون**»، بحيث لم يعتبر مصطلحات الفنون وأسماء النظريات الأدبية والفنية من ألفاظ الحضارة ففرق بينها في العنوان وفي محتوى المعجم، إذ قسّم المعجم إلى قسمين: الأول يشتمل على الثياب، والمأكولات، والأدوات المنزلية، والأماكن وما يتعلق بها، والمكتب وأدواته، والمركبات وما يتعلق بها، والحرف والصناعات والمواد المستخدمة فيها، إلخ.، ويشتمل القسم الثاني على ألفاظ الفنون التشكيلية ومصطلحاتها، مثل «فن التصوير» ومذاهب الفن

الحديث، وفن النحت، وفن المرسومات، ثم الرقص والموسيقى والسينما.

وللتوضيح فإننا نعدّ أسماء الحرف والمهن والصناعات وأسماء الحرفيين والمهنيين (مثل النجارة والنجّار) من ألفاظ الثقافة، أما المواد المستعملة في هذه الحرف أو المنتجة بواسطتها (كالمنشار والمنضدة) فهي من ألفاظ الحضارة.

وعلى الرغم من إدراكنا لصعوبة الفصل بين النظرية والتطبيق، في ثنائيات مثل: التبريد/المبرِّدة، التثليج/الثلاجة، التجميد/المجمِّدة، كيما نعد الألفاظ «التبريد، التثليج، التجميد» من المصطلحات العلمية أو من ألفاظ الثقافة، على حين نعدّ الألفاظ «المبرِّدة، الثلاجة، المجمِّدة» من ألفاظ الحضارة، فإن عذرنا أن الناس يستعملون عادة في حياتهم اليومية المبرّدة والثلاجة والمجمِّدة، وقلّما يتحدثون عن أنظمة التبريد والتثليج والتجميد التي يناقشها عادة المختصون.

وخلاصة القول، إن ألفاظ الحضارة هي في الأصل أسماء منجزات ذات وجود مادي تجسّد ثقافة المجتمع، وكانت تلك الأسماء متداولة على نطاق ضيق بين المتخصصين ومنحصرة في المعجم الخاص ، ولكنها شاعت في الاستعمال في الحياة اليومية وأخذت تنتقل من المعجم الخاص إلى المعجم العام.

بهذا التحديد نكون قد ضيقنا مجال «ألفاظ الحضارة» لينحصر في أسماء الأدوات والآلات والأبنية والملابس والمأكولات وما إليها مما يستعمله الإنسان في حياته اليومية العامة. أما أسماء النظريات العلمية والمذاهب الفكرية التي أنتجت تلك المواد فهي من ألفاظ الثقافة ولا ينطبق عليها اسم " ألفاظ الحضارة ". ومن ناحية أخرى فإن أسماء مكوّنات الكون من نجوم وحيوانات ونباتات وغيرها وأسماء أعضاء

الجسم، مثل: الشمس، والوردة، والخنزير، والرأس، إلخ. فهي من ألفاظ الطبيعة ولا تنتمي إلى ألفاظ الحضارة، كما ذكرنا سابقًا.

وبهذا يكون معيارنا في تحديد « ألفاظ الحضارة» أن يكون اللفظ اسماً لمنجز مادي من منجزات الحضارة، وليس الثقافة ولا الطبيعة ، وأن يشيع هذا اللفظ في الاستعمال العام في حياة الناس اليومية الاعتيادية فينتقل من المعجم الخاص إلى المعجم العام.

رواد البحث في ألفاظ الحضارة:

تشير الدراسات القليلة التي تناولت ألفاظ الحضارة إلى أن المجمع العلمي العربي بدمشق الذي تأسس عام 1919 كان في طليعة المؤسسات التي اهتمت بهذا الموضوع، وأن المرحوم أحمد تيمور كان على رأس اللغويين الذين انكبوا على البحث في هذا المضار. فقد نشرت مجلة المجمع العلمي العربي عام 1922 مقالات للمرحوم أحمد تيمور(1871–1930) حول الموضوع[25]. ومن الرواد الأوائل المرحوم أحمد لطفي السيد رئيس مجمع فؤاد الأول (في الفترة 1945- 1963) الذي وجه بإنشاء لجنة ألفاظ الحضارة في المجمع. وقد اقترن اسم المرحوم محمود تيمور (1894-1973، نجل أحمد تيمور) بألفاظ الحضارة منذ أن استقبله المجمع المذكور عام 1950، وكان ينشر قوائم بألفاظ الحضارة الحديثة باللغة الإنجليزية ومقابلاتها باللغة العربية في عدد من الدوريات العربية مثل مجلة (اللسان العربي) بالرباط – المغرب [26]، ثم نشر معجمه الخاص بألفاظ الحضارة [27].

ولم تُشر الدراسات التي تناولت رواد البحث في ألفاظ الحضارة إلى اسم

الشاعر معروف الرصافي (1875-1945)، وكان قد نشر معجماً كاملاً لألفاظ الحضارة باللغة العربية عام 1919 قبيل إنشاء أول مجمع عربي، المجمع العلمي العربي بدمشق. وعنوان المعجم الذي صنّفه معروف الرصافي هو: «**الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات**»[28] وهو عنوان يكفي للدلالة على محتوى المعجم. كما تكفي نظرة واحدة إلى مداخله لإقناعنا بذلك. فمن مداخل حرف الألف: الإبرة، الإبريق، الإبزيم... الأداة،...الأرغن، الأريكة، الإزار،...الأصيص، الأصطوانة، الإطار...إلخ. وبعد كل مدخل تعريف باللفظ.

وإضافة إلى هؤلاء الرواد نجد عدداً من اللغويين والعلماء الذين اهتموا بموضوع ألفاظ الحضارة، منهم المغربي عبد العزيز بنعبد الله صاحب معجم (المهن والحرف)، والعالم التونسي أحمد ذياب صاحب (أدوات الحضارة)، والمجمعي الأردني عبد الكريم خليفة، واللغوي التونسي رشاد الحمزاوي وغيرهم.

وينبغي أن نتذكر أن عدداً كبيراً من ألفاظ الحضارة الحديثة وُضع إبان مطلع النهضة العربية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين على يد عدد من علماء الشام ومصر وأدبائهما. فمما وضعه أحمد فارس الشدياق: الحافلة والمنطاد المطعم، ومما وضعه خليل اليازجي: الجواز والردهة والقفاز، ومما وضعه يعقوب صروف: المصح، والتلفزة والصُّلب، ومما وضعه إبراهيم اليازجي الدراجة والحاكي واللولب والشعار والمقصف[29].

توحيد ألفاظ الحضارة في اللغة العربية :

نلاحظ أن كثيراً من ألفاظ الحضارة غير موحدة في البلاد العربية وتختلف من

قطر عربي لآخر، وذلك لأسباب تاريخية وجغرافية وتنظيمية ومصطلحية. وحتى ألفاظ الحضارة التي تضعها المجامع اللغوية والعلمية العربية تختلف من مجمع لآخر. ولأضرب مثلاً في بضعة ألفاظ حضارية حديثة وضعتها بعض المجامع العربية:

قِدر كاتمة (مجمع القاهرة) Pressure cooker(Eng.), Marmite hermétique (Fr.)

قدر ضغط/بخار (مجمع بغداد)

بزبوز (مجمع القاهرة) Spout (Eng) , Goutot (Fr.)

أنبوب (مجمع بغداد)

سلطانية الشربة (مجمع القاهرة) Tureen (Eng.), Soupiere (Fr.)

ماعون حساء (مجمع بغداد)

حسائية (معجم المنهل)

ترموس (مجمع القاهرة) Thermos (Eng.), Thermos (Fr.)

كظيمة (مجمع بغداد)

قارورة عازلة (المعجم الموحد)

مكبّر الصوت (المعجم الموحد) Microphone (Eng.), Microphone (Fr.)

مصوات (مجمع دمشق)

مصداح (تونس)

حلمة صناعية/بزازة (مجمع القاهرة) Pacifier(Eng.), Sucette(Fr.)

مصاصة (مجمع دمشق، معجم المورد)

يمكن أن نعدّ هذه الألفاظ العربية المتعددة للمفهوم الواحد مجرد مترادفات يقوم الاستعمال في المستقبل بتفضيل أحدها على الآخر. ولكن الخطر يكمن إذا اختص كل قطر بلفظ واحد دون غيره من المترادفات، خاصة إذا ما علمنا أن المطبوع العربي لا يمتلك حرية التنقل الكاملة عبر الحدود.

ويبدو لي أن توحيد بعض ألفاظ الحضارة يتعدّى إمكانات المجامع اللغوية. فأسماء العملات العربية، مثلاً، كالهللة والريال (السعودية) والفلس والدينار(العراق) والمليم والجنيه (مصر) والسنتيم والدرهم (المغرب) لا يمكن توحيدها بقرار من مجمع لغوي، وإنما يتطلب ذلك دخول الأقطار العربية في نوع من الاتحاد بحيث يكون لها نظام نقدي واحد وبنك مركزي واحد وعملة واحدة، كما حصل في أوربا حيث ظهر اليورو عملة موحّدة فحلّ محل الفرنك الفرنسي والمارك الألماني والليرة الإيطالية والبسيطة الإسبانية.

ومعلوم أن لتوحيد الألفاظ، مصطلحات كانت أو كلمات، أهمية كبيرة في إيجاد لغة موحَّدة تساعد على توحيد الأمة وتيسير التواصل والتفاهم. وتكمن أهمية توحيد ألفاظ الحضارة في كون هذه الألفاظ شائعة في الاستعمال العام. ولهذا يقول المرحوم محمود تيمور:

«إن السعي إلى وضع مقابل صحيح لألفاظ الحضارة أو الحياة العامة ليس مقصوداً به فرض ذلك على أفواه العامة في البيوت والأسواق، ولكن نقصد به إسعاف الأقلام الكاتبة بما يسد حاجة التعبير من ألفاظ فصاح لمسميات حضارة شاملة...»[30].

ولكن لو اقتصر هدفنا على ذلك لعززنا الازدواجية اللغوية القائمة بين

الفصحى والعامية ووسعنا الهوة بينهما، ولهذا فإن المرحوم تيمور يضيف قائلاً:

«**وإشاعتها (أي ألفاظ الحضارة الفصيحة) في الصحف السيارة والكتب المتداولة، وإذاعتها في مجالات الإذاعة الفصيحة على اختلاف منابرها ومنصاتها في حياتنا التعليمية والاجتماعية في أرحب نطاق**» (31) .

ونظراً لأهمية توحيد ألفاظ الحضارة في البلاد العربية، اتخذ اتحاد المجامع اللغوية العربية قراراً في اجتماع عُقد بالقاهرة في آذار/مارس سنة 1997، أوصى فيه أن يتولى كلّ مجمع وضعَ مشروع ألفاظ الحضارة في قطره ثم تُرسل المشاريع إلى الاتحاد لتنسيقها والانتهاء إلى إصدار معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة. ونعلم جميعاً أن اللغة الواحدة تربط الناس بوشيجة قوية وتجعلهم يشعرون أنهم يتواصلون بلسان واحد، ولهم تراث مشترك واحد، بل إنهم يفكرون بطريقة واحدة. وهكذا تكون اللغة من أهم مقومات الأمة الواحدة، إن لم تكن أهمّها. ولهذا فإن سعينا إلى توحيد ألفاظ الحضارة يرمي إلى تزويد الأمة العربية بلغة موحدة تيسّر تواصلها وتدعم تضامنها وتكون أساساً لوحدتها.

الهوامش

وردت هذه الألفاظ، على سبيل المثال، في :

محمود تيمور، **معجم الحضارة** (القاهرة: مكتبة الآداب، 1961) ص 1 - 14.

إبراهيم مدكور، تصدير **محاضرة الدورة 12 لمجمع اللغة العربية**، القاهرة، 1945-1946.

المجمع العلمي العراقي، **ألفاظ حضارية** (بغداد: المجمع العلمي، 1998) مقدمة د. مطلوب ص6.

المرجع السابق، ص 5.

محمود تيمور، «ألفاظ الحضارة لعام 1971» في مجلة (**اللسان العربي**)، المجلد 9 الجزء 1 (197)، ص 406.

6مكتب تنسيق التعريب بالرباط، **مشروع معجم ألفاظ الحضارة**، الجزء الثاني، مقدمة د. عبد اللطيف عبيد، ص3

عبد الكريم خليفة، «المعجم العربي الموحّد لألفاظ الحضارة»، دراسة وزعها مجمع اللغة العربية الأردني، ص2

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **المعجم الموحّد لمصطلحات الإعلام** (الرباط: مكتب تنسيق التعريب، 1999)

مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون** (القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1980).

Jan Wall, Traité de métaphysique,Paris,1968,p.650-656 كما ورد مترجماً في:

محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، **الطبيعة والثقافة** (الدار البيضاء : دار توبقال للنشر، 2005) ص 7-9.

ابن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ب ت) مادة طبع.

علي القاسمي (المنسّق) وآخرون، **المعجم العربي الأساسي** (باريس: الألكسو/لاروس، 1989) مادة طبع.

محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، **الطبيعة والثقافة**، مرجع سابق، ص 6.

الطاهر واعزيز، «الطبيعة» في: **الموسوعة الفلسفية العربية** تحرير : معن زيادة (بيروت: معهد الإنماء العربي، 1986) ص 560-566.

معن زيادة ، «حضارة» في : **الموسوعة الفلسفية العربية** ، مرجع سابق، ص 368-375.

بودون وبوريكو، **المعجم النقدي لعلم الاجتماع**، ترجمة: سليم حداد (بيروت: م. ج. ، 1986) ص 228-229، كما ورد في سبيلا وبنعبد العالي في المرجع السابق.

نقلاً عن أياد أبو عوض، ((قضية الثقافة في العالم العربي)) في مجلة **ضفاف** النمساوية، العدد20 (2005) ص 121.

ويليام فندلي، ((دور الدين في الحوار بين الحضارات))، في (**النشرة**) الأردنية، العدد "2004 à) ص 4 -11.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **الخطة الشاملة للثقافة العربية** (الكويت: الألكسو، 1986) مجلد 1، ص 42.

معن زيادة ((الحضارة))، مرجع سابق.

عبد الهادي بوطالب، ((الحاجة إلى ندوات عن الحضارة والثقافة والدين)) في جريدة (**الأحداث المغربية**)، العدد 2342 يوم 2005/6/27.

علي عزت بيغوفيتش، **الإسلام بين الشرق والغرب** ، ترجمة : محمد يوسف عدس (القاهرة: دار الشروق، 1994) ص 93-133.

عبد السلام بنعبدالعالي، ((اللباس والهوية)) في الملحق الثقافي لجريدة (**الاتحاد الاشتراكي**) المغربية، العدد 7695 (2005/6/17).

عبد السلام أمرير، ((الأزياء والتصوف)): دراسة قُدمت إلى ندوة ((التصوف في الجنوب المغربي)) نظمتها جامعة ابن زهر في تزنيت – المغرب ، 1-2005/7/3.

أحمد تيمور، ((تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)) في : **مجلة المجمع العلمي العربي**(1922) 10: 289-296. ذكره الدكتور خليفة في المرجع السابق ولم نطلع عليه.

مثلاً، محمود تيمور،((ألفاظ الحضارة لعام)) في مجلة (**اللسان العربي**)، مرجع سابق.

محمود تيمور، **معجم الحضارة**، مرجع سابق.

معروف الرصافي، **الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات** (بغداد: دار الرشيد للنشر، 1980) وهي منقولة عن طبعة 1919.

شحادة الخوري، ((العربية لغة العِلم))، في **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**، المجلد 76، الجزء 2، ص 350.

محمود تيمور، معجم الحضارة (القاهرة، 1961) المقدمة.

المرجع السابق.